الحرب تزهر أطفالاً

طالت الحرب ، استطلنا معها
كبرت لما كبرنا
وترعرعنا على ضوضائها حين ضمرنا
غسلتنا اذ توحلنا ،
واذ برنا أتت تقلع من أوجهنا جذر الطحالب
كانت الحرب لنا نهرا من الموت ،
ابتدأ الطوفان ،
أضحى الحيّ أشلاء واضحينا ركاما
كانت الحرب لنا نهرا من الموت ،
سددنا فيضه ثم لجمنا غضبه
ثم هدهدناه حتى هجع الموج وناما
حينما لم يبق الا نحن والطوفان ،
خلنا ان شيئا في المآقي الحمر راعه
فتوضأنا به .. ثم اغتسلنا
وتقافزنا على تياره حتى غمرنا
وامتلأنا منه ،
عبّأنا من الأموات قاعه
ثم صرنا طميه .. صرنا سمادا للزراعه
فالتوت أمواجه أضلع جسر
وانحنت حتى عبرنا
وخنقنا كل آهات الضراعه

* * *

نحن والحرب عشيقان ،
افترقنا منذ ان مزقنا الخوف ،
وادمّنا الفرار
ولبدنا نرضع الشوق من الاحلام ،
نستجدي من العري ازار
سلمنا العسف وأهوى فوقنا الغازي
الذي خفنا صراعه
وتتالت حولنا تهدر ارتال الطفاة
لم يكن يفصلنا عن قبضة السيف ،
سوى هذا الجدار
وخشينا اعين الناس ،
خشينا قيلة السوء ،
ومن بعد المزار
وانتظرنا نحمل الشوق ونعيا
وسط محراب الصلاة
وبلا رائحة ينسكب الصوت علينا
من محطات الاذاعه
نشتري أخبارها من زحمة السوق ،
ولا نبصرها بين البضاعه
وتسقّطنا من الناس ، ومن أعينهم
ومض الشجاعه
وركضنا كل درب من دروب الظن
طفنا الف دار
وتتبعنا دليلا ثم نخاسا وقوّادا
ونخاسا وقوادا
عبرنا في متاهات المجاعه
ولكي نبصرها كنا حداة العيس للرّحال ،
كنا السيف للفارس ،
للبحار كنا موجه .. كنا شراعه
غير انا حيثما سرنا أنى يتبعنا هذا الجدار
وغضبنا
فهجمنا ، حينما فاض بنا اليأس ،
وهدّمنا الجدار
واقتحمناها ، احتويناها بأيدينا ،
ارتعشنا ، ارتعشت بين الضلوع
فتعالت لهبا نشّف من أعيننا فيض الدموع
واشتعلنا حينما صارت وقودا
ثم اضرمنا لظاها حين اصبحنا الوقود
من هناك ابتدأت رحلتنا عبر بواديها المشاعه

* * *

الحياة انسكبت فيضا ، وصارت مومسا
كنا نؤاتيها بلا طعم
ونحياها كعاده
وعرفنا وجهها جوعا وادمانا
ذللنا فيه ، صنّاه ،
ركعنا في محياه عباده
الحياة اهترأت فينا ، ترّهلنا بها
صارت بثورا ودمامل
واتتنا الحرب نارا وزلازل
أحرقت عقم الصحاري
ضوّأت درب القوافل
فتمسّكنا بما ظل لدينا من حياة
ونثرناها على الترب بذارا
حنطة نادرة تبذرها الحرب ، فتعطي
حبة واحدة سبع سنابل

* * *

حينما هبّت رياح الحرب في ضوضائنا المحتدمه
صفعتنا .. فتساقطنا على اكتاف هذي الارض
احلى اوسمه
وتعرينا من الخوف، خفقنا في روابيها بيارق
نحن من موت الى موت .. ومن خوف الى خوف نمونا
روّض الموت على أضلاعنا
أصبح موتا منزليا
موتنا شبّ ، تجاوزنا انحدار الموت خوفا
لم يعد زلة ساق ، خطأ نخشى قصاصه
موتنا اصبح فينا رعشة اذ تفجأ الجنديّ
في الليل رصاصه
يمتطي الموت ويسري دون زاد
ذلك الموت الذي اصطدناه ، اذ عاث بأرجاء البلاد
نحن دجنّاه ، ربّيناه ، أطعمناه أشلاء
سقيناه النزيف
وطحنّا وجهه القاسي ، عجناه ، صنعناه رغيف
فنما بين صفار البيت طفلا
راح يلهو معهم
كل طفل وله موت أليف

* * *

من سيبقى غيرنا في الحلبه ؟
حينما يقتحم الموت صفوف الامة المضطربه
حين يلقي رمحه ، خصما ، ويدعو للنزال
حين ينفضّ من الساح الرجال
تكنس الريح وراء الجبناء الجلبه
وعراة نبدأ الحرب فنكسوها ، وتكسونا دماء
فلمن سوف تكون الغلبه ؟

* * *

خفّف الوطء ، فهذي الارض أجساد ضحايا
ولدت عارية عاجلة ، عاشت بعري وعجل
أسرعت للموت لم تلبس كفن
نحن رُبّينا على اجداثها زغبا عراة
ونمونا رغم املاق الزمن
حيثما سرت اتيئد
واخلع النعل ، فهذا معبد الموت ،
وها نحن القرابين الجديده
زمرا جئنا الى مذبحها نكمل للارض الثمن
حينما ضاق بنا الذل ، صرخنا :
« ايها الموت انل أقدامنا الارض المجيده »

سوف نبقى ننزف الخوف عليها
ونذوق الطين ، ننزو عبره
حتى نلاقي بين أشلاء ضحايانا وطن
والى ان تتخم الارض ، وتخشى فقدنا
ترهب ان تبقى وحيده
فاذا ما غضبت وانتفضت أرضا جديده
واذا أزدادت حواليها الذئاب
واذا زلزلت الارض وواتاها مخاض
في جذوع النخل اهوت
أخرجت أثقالها
واسّاقط المنّ عليها والبذار
سوف نضحي ، كلنا ، عشاقها
ننعم في احضانها عمرا جديدا
ثم ننسى ما عرفنا من عذاب
حينما نغسل وجها سوّدته النار والحرب ،
فتزهو الارض ، تبدو امراة
ممشوقة القد يعبيها الشباب
حين تضحي لوعة في كل قلب
يتمنى الناس طرا
انهم كانوا ، كما كنا ، التراب

* * *

خفف الوطء ، فهذا الوطن يرجف زهوا
في فراش الاحتضار
انه يعبر في الموت ليحيا
فهو ميت وجنين
خفف الوطء ، فهذا وطن يمضغ تاريخا
ويمتص من الجرح الانين
فيه موت متقن ،
فيه جذور وزغاليل صغار
نبتوا فيه رشيما فزهورا فثمار
خفف الوطء على الترب ، انتظر ميلاده
ان ضاق يوما بالحصار
وانتظرنا أو تقدم في الاماني التربه
هذه الحرب التي تحبو على ابوابنا
تكبر ان نحن كبرنا
انما هذا أوان الشد ،
فاشتدّ وتابع خطونا
حيث عبرنا
سوف تلقانا شبابا في خضم الحلبه

دمشق

ممدوح عدوان